الأماثيل السننيّة في قصص الإبادة القرآنية

م.د ميثم هاشم طاهر.

مديرية تربيّة ذي قار

maitham.mht@gmail.com

ملخص البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أنَّ القصص القرآني بوصفها خطاباً موجهاً للمسلمين لم تتغيَّ التسلية ولم يكن غرضها الإخبار عن الأمم السالفة والأنبياء، لتوسيع رقعة المعرفة عند المسلمين، إنَّما جاءت القصص لترسيخ السّنن الإلهية في الأنفس والمجتمعات في الذّهنية الإسلامية، على وفق مشارطة إلهية/ معادلة سننية ما فتئ القرآن الكريم يكرّسها في خطابه، ويُحكم الشرط الإنساني ومآل الجماعات بها، ألا وهي: "الكسب/ الأخذ" و"الاستقامة/ الغدق"، فالقرآن الكريم يتركّز خطابه على وفق هذه المشارطة: "استقيموا سيكون مصيركم الغدق والخيرات في الدنيا والآخرة، أمّا إذا لم تستقيموا "فبما كسبتم" سيكون مصيركم العذاب والهوان في الدنيا والآخرة"، وتندرج الإبادات الجماعية في قصص الأنبياء ضمن هذه المشارطة الإلهية السّننية، ومن خلالها ندرس القصّة القرآنية، وليس بالضرورة أن تكون القصص رمزية أو تاريخية أو أسطورية فهذه ليست من أسئلة البحث ولا تعني الباحث؛ إنّما سنمنح للقصص بعداً أمثولياً، بما يمكن تسميته بالاستنطاق الأمثولي للقصص القرآني، ونقرأ من خلال هذا الاستنطاق قصص الأنبياء الذين تعرّضت قراهم إلى الإبادة الجماعية أعني: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

Abstract

The research sets out from a hypothesis that the set of the Qur’anic stories, as a discourse addressed to Muslims, did not aim to entertain nor to report about the previous nations and

prophets in order to expand the knowledge for Muslims.

Rather, the stories came to instill the divine laws in the societies and the individual's souls of the Islamic mentality according to a divine stipulation or a firm equation that the Holy Qur'an, in its discourse, has been consecrating on the idea that the human condition and the fate of individuals are governed by this divine and firm equation, namely: "committing sins/ punishment" and "rightness /copious reward". In other words, the Holy Qur'an centers its discourse according to this stipulation: "Be righteous, your destiny will be copiousness and goodness in this world and the hereafter, but if you are not righteous, then for the sins you have earned, your fate will be torment and humiliation in this world and the hereafter."

The collective torments in the stories of the prophets fall within this divine and firm stipulation. The article is going to study the the Qur'anic story from this point of view. In addition, the Qur'anic stories do not have to be symbolic, historical or mythical, as these are not among the research questions and do not concern the researcher. Moreover, the article is going to give the Qur'anic stories an exemplary dimension, with what can be called an exemplary interrogation of Quranic stories, and it is also going to investigate, through this interrogation, the stories of the prophets whose villages were subjected to collective torments, namely: Noah, Hood, Saleh, Lot and Shuaib.

الاستنطاق الأمثولي:

كلُّ نصٍّ غنيّ يخضع لمستويات فهم متعددة منها ما تقف على حدود الكلمة ولا تتجاوزها، لتصل إلى بيان المعنى المراد أو كشف عن الدلالة وهذا ما يسمى بالتّفسير، ومنها ما يصل بالنَّصِّ إلى ما هو أبعد من حدود الكلمة وتحميل النَّصِّ أوسع ممّا تحتمل علاماته، وهذا ما يسمّى

بالتّأويل، ويقع فعل استنطاق النَّصِّ ضمن دائرة التّأويل. والاستنطاق بتعريف إجرائي هو أنْ نمنح للنَّصِّ المؤوَّل بعداً دلالياً آخر ضمن شروط النَّصِّ نفسه.

فيما يخص الأمثولة (Allegory) يرى تودوروف أنَّها تفترض وجود معنيين للقصة / النَّصّ، معنى حرفي والآخر مجازي، قد يُمحي المجازي الحرفي وقد يوجدان معاً، قصة بمعنيين (تودوروف، ١٩٩٤: ٨٨)، وتتألف الأمثولة من نوعين سرديين متداخلين "المثل" و"القصة" يصعب الفصل بينهما على الرغم من اختلاف الخصائص البنيوية والنّوعية لكلٍّ منهما، إذ تعرض الأمثولة المعنى الحكمي والمغزى الأخلاقي في صورة حسية قابلة للإدراك تأخذ من الطّاقة الرّمزية قناعاً لها، فتجعل النَّصَّ ذا طابع مجازي معقّد يتمثل في تتالي الاستعارات التي تتجاوز حدود الجملة إلى حيز النَّصِّ، إذ اعتبار كل قصة استعارة تدلُّ على مغزى معيّن أو حكمة ما وينتج عن تتالي هذه القصص انسياب الصور الاستعارية بشكل يحوّل النَّصَّ إلى نظام من الاستعارات المطردة ذات بعد مشهدي وتجسيدي ينفذ إلى عمق العواطف أو الأفكار، ليكشف عنها ويعريها عبر الصورة الرمزية والتمثيلية الداعية إلى فعل أو سلوك على المتلقي أنْ يطبقه ويمتثل له على درجة التقدير الاجتماعي وحسن السّلوك الأخلاقي.(الراوي، العدد ٢٥ : ٦٧ ، ٧٤)

ولكي نفضّ الاشتباك الذي قد يحصل بين الأمثولي والرّمزي نستدعي الفرق الذي ذكره الباحث بسام الجبل بين الاثنين، فالرمزي أكثر تعقيداً من الأمثولي، إذ يضفي الأخير رداءً مادياً على حقيقة مجردة، ومن ثُمَّ تنشأ الصّور التي يمكن إدراك معانيها إدراكاً يسيراً (الجمل، ٢٠١١: ٢٣)، وما قاله تودوروف عن إمكانية تأويل كلِّ نصٍّ قصصي أمثولياً (تودوروف، ١٩٩٤: ٩٩)، يشجعّنا على أن نتبنى تعريفاً إجرائياً للأمثولة يوّسع المفهوم ليمنح لكلِّ نصٍّ بعداً أمثولياً، نفحص من خلاله الإمكانات الكامنة في النَّصِّ، فإنِّ كان الاستنطاق: أنْ نقترح بعداً دلالياً لكلِّ نصٍّ، فإنَّ الأمثولة: أنْ نمنح لقصة ما بعداً أمثولياً، ويكون الاستنطاق الأمثولي للقصص القرآني: أن

نقترح للقصص القرآني بعداً دلالياً أمثولياً. وخشية الانزلاق في المغالطة التأويلية نمنح البعد الأمثولي ضمن شروط النص نفسه، والشرط الذي نضعه قيداً للمنح المذكور لا نستلّه إلّا من القرآن الكريم نفسه.

قرن القرآن الكريم الأمثولة بالقصص، وعبَّر عن الأمثولة بلفظة "مثل" الذي يقرنها تعالى مع قصص الأنبياء، فقد جاء في سورة الفرقان {{وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً(٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً(٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً(٤٠)}} وفي سورة الزخرف يقول جلّ وعلا: {{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ(٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ(٨)}}، ويقول في سورة "يس": {{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ(١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ(١٤)}} وفي سورة "التحريم": {{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ(١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)}}.

يسمّي القرآن الكريم قصص الأقوام البائدة بالأمثال، والعبرة في المثل في كونه حقاً ليس في ذاته إنَّما في غاياته، إذ يغرس المتلقي المسلم في أفق تربوي تهذيبي أخلاقي، ويمنحه حالة من التناظر الواعي بين ما يتلقّاه وما يعيشه، هذا التناظر يجعل من القصص الأمثولية أكثر نجاعة في تغيير السّلوك البشري وتهذيبه من القصص التّاريخية (التي حدثت فعلاً)؛ لأنَّ الأخيرة محكومة بإطار الحقائق التي لا تخرج عنها، وهذا الإطار لا يمنح ولا يفعّل كلَّ الإمكانات النبوية في تغيير النفس البشرية نحو الصلاح، أما الأمثولي فهو يضع ما يريد ضمن ثنائيات (أتيقيّة)، ويخلق ذلك المناخ الذي يبيّئ المتلقي ضمن حيّز فكري يجعل من البثّ الأخلاقي والتّربوي مثيراً له ومغيّراً.

القرآن ليس كتاباً تاريخياً إنَّما كتاب هداية، والهداية تنسجم والغايات لا مع الدقّة في النقل التاريخي، الأهم في القصة القرآنية "على المستوى الرسالي" أن تغيّرك لا أنْ تمنحك معرفة في التاريخ، وبغض النظر عن أعلاه، فنحن نرى أنَّه من غير المجدي البحث عن صحتها التاريخية من عدمها، إنَّما هي قصص موجودة في كتاب مقدس "ديني" ونحن نفترض أنَّ الكتب الدينية تنطوي على العديد من القصّ الأمثولي تحت بند "نضرب الأمثال". لذلك يتجاهل البحث سؤال الإثبات أو النّفي، فالقصة القرآنية مهما كانت، متحقّقة تاريخياً، أو متخيّلة لأغراض تهذيبية، فيمكن أنْ نستخلص منها الأمثولة على ضوء البند القرآني الآخر: "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"، لذلك لا داعي للسؤال المطروح غالباً في موضوع القصص القرآني: أهي حقيقية أم غير ذلك؟

بالإضافة إلى ذلك نجد في القرآن الكريم تضافراً صريحاً بين المثل والقصة مع السنّة الإلهية؛ إذ يقول تعالى في سورة الكهف: {{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً(٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً(٥٥) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُواً(٥٦)}}. فالقصة/ المثل يسميّها القرآن الكريم بـ"سنة الأولين"، ويكون الأمر أوضح في سورة النحل: {{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١١٣)}}.

هنا يتضح التضافر بين القصة/ المثل وبين السنّة الإلهية أو ما يمكن تسميته بالمشارطة السننية، ولابدّ أنْ نعرف أنَّ ((الله تعالى حين يذكر السّنة في القرآن الكريم يذكرها متصلة بالمجتمع وبالأنفس لا بالطبيعة والآفاق، والنّاس لا يعرفون السنّة إلا في الطّبيعة ولا يعترفون بها في الأنفس ويعتبرون عالم الأنفس خارج الثّبات أو

خارج السنة وهذا مناقض لمنهج القرآن الكريم)) (سعيد، جودت، ١٩٩٣: ٢٣).

أوّلاً: الاستنطاق الأمثولي: المشارطة السّننية:

كلُّ ما في القرآن الكريم يدور حول ثنائية سننية كرّسها في كلّ قصة تُروى عن الأمم السابقة، وهذه الثنائية طرفاها "الكسب/ الاستقامة" المتعلقة بثنائيات فكرية إيمانية "الخير والشر"، "الإيمان والكفر"، "الصلاح والفساد". وعلى أساس الكسب والاستقامة تكون مآلات الجماعات البشرية، فالسّنن التّاريخية ((لا تجري من فوق رأس الإنسان بل تجري من تحت يد الإنسان)) (الصدر، ١٩٩٣: ٩٤)، فالكسب يؤدي إلى الهلاك بينما الاستقامة تذهب الجماعات إلى الغدق، يقول تعالى في سورة الأعراف: {{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦))، وفي سورة هود يقول تعالى:((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)}}. ويقول تعالى في سورة الجن {{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً(١٦)}} مفهوم "الاستقامة" وإنْ كان سياق الخطاب يخصّ الجن، إلاَّ أنَّها تمظهر للسنّة الإلهية في الخلق.

هاتان الآيتان جاءتا بأسلوب الشّرط، إذ وضع الغدق والبركات مآلاً سننياً للاستقامة والصلاح، بينما وضع الأخذ "العذاب" مصيراً سننياً للكسب، وقد سبق القول: إنَّ القرآن يطلق على قصص الأنبياء السابقين "سنة الأولين"، بل ويكرّس علاقة القصص بالسّنن في قوله في سورة النّساء: {{يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم(٢٦)}}، وفي سورة آل عمران {{قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس و هدى وموعظة للمتقين (١٣٨)}} فالقرآن الكريم لم ينزل ((كتاب تاريخ يقتص تواريخ الناس من بر أو فاجر، إنما هو كتاب هداية (...) وربما أشار إلى طرف من قصص الأنبياء و الأمم لتظهر به سنة الله في عباده... و تتم به الحجة على الباقين)) (الطباطبائي، ٢٠٠٦: ١٩٤).

ولنا أن نستظهر المشارطة السننية من خلال مفهوم الإيمان المشروط بخمس سنن شرطية لها المركزية في كل رسالة نبوية وهي "العدل والمساواة والتسامح والاستقامة الجنسية وإصلاح الطبيعة"، ولنا نطلق على هذه الشّروط المركزية مصطلح نقدي "الأماثيل السّننية" وهي:

أ :ـ أمثولة المساواة: النَّبي نوح:

جاء في سورة "نوح" قوله تعالى {{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارا(٧) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارا(١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارا(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارا(١٢)}}. في الآيات الكريمة أعلاه نجد أنَّ النّبي "نوح" يذكّر قومه بالسّنة، بالناموس الإلهي، بالمشارطة السّننية الإلهية، بعد أنْ رأى الاستكبار الذي يستلزم بذاته الاستضعاف للآخرين الأقلّ منهم مكانة وقوة ومالاً، وبما أنَّ الاستغفار يستلزم الإيمان سلفاً، وإلاَّ دعوته للاستغفار وهم غير مؤمنين تبدو غير منطقية، قد يكون إيمانهم نظير إيمان قريش، ما يمكن تسميته "الإيمان الشّركي"، أي نؤمن بالله ونؤمن بالآلهة الأخرى "ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر" والمشكلة لا تكمن في شركهم إنَّما لما يستتبع هذا الشّرك من استكبار، بوصفه انحرافاً عن جادة الحق، لذلك رأى أنَّ الاستكبار إثم يستوجب استغفاراً، والمدرار/ الخير "فتح بركات السماء" مشروط وجوده باستغفارهم عن الاستكبار لا مجرّد الإيمان، وإلّا فالمدرار قد يطغى طوفاناً، كما في قصّة الإبادة المذكورة في القرآن الكريم.

والاستغفار هنا ليس قلقلة لسان إنَّما إقرار بالمساواة وعمل بها، لكنهم واجهوا تلك الدعوة بأنْ وضعوا "الأصابع في المسامع"، ذلك أنَّ الاستغفار يقتضي هو الآخر أنْ يكون ثمة مساواة بين الملأ المترف المستكبرين و"الأراذل" بتعبير الملأ، و"الذين آمنوا" بتعبير نوح، هذه المقابلة بين توصيفين للأراذل بين منظور الملأ وبين منظور الله على لسان نبيّه "نوح" كان أمراً غير مقبول بالنّسبة للملأ، لا يمكن لهم أنْ يسمعوه، حتَّى أنَّهم شكّوا بأنَّ نوحاً كان يطلب المال في دعوته للمساواة، فقد جاء

في سورة هود قوله تعالى: {{وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)}}.

بمعنى آخر أنَّ المفاهيم الأخلاقية التي جاء بها نوح ما كان لها أنْ تنبت في بيئة مستكبرة، بل سيُهدد نوح بالطرد والإبعاد، فالإنسان ميّال إلى مصلحته، ينحاز إلى نفسه، وإنْ كان الخير فيه أصيلاً، إلاَّ أنَّ تلك الأصالة إنْ تعارضت مع الانحياز إلى النفس "المصلحة"، تنعطف نحو الشرّ، يقول في سورة الشّعراء: {{قالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ(١١١)}}، في هذه الآية نجد أنَّ الإيمان بالله قد أوجد حالة من المساواة بين الملأ المترف والأراذل، فالإيمان بالله يضمن تلك المساواة لذلك رفضوها، والإيمان مشروط بالمساواة بين الناس، لا فرق بين ملأ وأراذل، وهذا ممّا لا يرتضيه ولا ترتضيه حكاية المشارطة التي تتغيّى الكشف عن العناد الإنساني، وبؤس الانحياز إلى النفس، هذه الحقيقة كشفها القرآن الكريم من خلال قصة النبي نوح، ففي معتقد الملأ ((أنَّ الضعيف في المجتمع إنسان منحط أو حيوان في صورة إنسان إنّما يرد داخل المجتمع و يشاركهم في الحياة ليستفيد الشّريف من عمله و ينتفع من كد يمينه لحياته من غير عكس بل هو محروم من الكرامة مطرود عن حظيرة الشّرافة آيس من الرّحمة و العناية)). (الطباطبائي، ٢٠٠٦: ١٦٦)

من خلال قصة النّبي نوح حاول القرآن الكريم أنْ يقوّض معادلة "السيّد والعبد" التي كانت قريش تتبناها، يذكر السيوطي: ((مرَّ الملأ من قريش برسول الله "صلى الله عليه وسلم" وعنده صهيب، وبلال، وعمار، وخبّاب، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك منّ الله عليهم من بيننا؟ ونحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ أطردهم عنك فلعلك إنْ طردتهم أنْ نتبعك))، (ابن كثير، ١٩٩٩: ٢٦٠) هذا التّمايز الطّبقي ألغاه الرّسول، فالإيمان بنسخته النّبوية الحقّة مشروط بالمساواة وإلغاء الفروق الطّبقية، ولا أحد أكرم من آخر إلّا بالتقوى، وما كانت قصة نوح إلاَّ تدعيماً وتكريساً لفكرة الإيمان المشروط.

ب: أمثولة التَّسامح: النَّبي هود:

إذا كان استكبار قوم نوح مردّه الاستعلاء بالمال والبنين، والمصير الطوفاني قد أهلك ما كانوا يستعلون به. فإنَّ قوم هود كان استكبارهم مردّه قوّتهم الجسمانية، ومباهاتهم بالبأس وشدة السّواعد، والتّجبر والعنف والبطش، ورسالة الإيمان التي حملها النّبي هود كانت مشروطة بالتّسامح واللّين الاجتماعي والورع، فبناء أيّ مجتمع فاضل يتنافى مع الاغترار، فاللين والتسامح والعطف والتواضع من أهمّ أسس بناء المجتمع الصالح، لا شريعة الغاب. لنتتبع الخطاب القرآني على لسان نبيّ الله هود، نبيّ التسامح:

- في سورة الشعراء {{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)}}.
- في سورة هود {{ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)}}.
- أمّا في سورة الأعراف فالخطاب متماهٍ بين الله والنبي: {{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)}}.
- أمّا في سورة فصّلت فالإخبار من الله "تعالى" دون أن يخاطبهم {{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)}}.

تدور الآيات على مدار المشارطة السننيّة، إذ تبيّن المدى اللامحمود للعنف والاغترار بالقوة؛ اللذين ينسفان منظومة

الأخلاق القويمة، ولا يمكن لهذه المنظومة أن تحيا من دون بيئة تسامح ولين، حتّى ينمو الخير في غضونها، وتؤدّي في النهاية إلى بناء المجتمع الصالح، فالبيئة العنيفة لا يمكن أنْ تُغرس فيها مكارم الأخلاق، وما الإمداد بالأنعام والبنين إلّا صورة من صور العطف الإلهي، لكن ذلك العطف كيما يدوم بإمداداته يشترط الله تعالى ضمن معادلته السّننية، وعلى لسان نبيه "هود" أنْ يكون مقابله إيماناً مشروطاً باللّين والتّسامح.

ومثل نوح ربط هود الاستغفار بالخير "المدرار"، وليس الاستغفار في الحالتين نشاطاً لسانياً إنّما فعل أخلاقي يتمثّل بالرّجوع إلى الجادّة الحق، إلى الله وحده لا شريك له ممّا يعبد آباؤهم، وهذا الرّجوع "الإيمان" مشروط باللّين الاجتماعي، بالتّسامح، بنقض العنف والبطش، وعدم التّباهي ببناء المصانع، والاغترار بالقوة، إلاّ أنَّ القوم أبوا إلاّ الاقتداء بآبائهم، والاقتداء بالآباء يمنحهم ويكرّس في نفوسهم القوّة والبقاء على ما هم عليه من العنف والاغترار بالنّفس والمصانع.

ج: أمثولة الخصب: النّبي صالح:

تقف القصة القرآنية على نقطة ارتكاز يدور حولها طرفا المعادلة القرآنية/ المشارطة السّننية، ونقطة الارتكاز هي "ناقة صالح" التي شكّلت الفيصل الابتلائي/ السّنني بين الإفساد الذي ذكّرهم فيه صالح ونهاهم عنه، وبين هلاكهم وإبادتهم. فالسنّة الإلهية هنا لم تكن فكرة المساواة أو فكرة التّسامح إنّما اتخذت شكلاً خارجياً له مواصفات برع الرّواة في المبالغة في صورتها، ألا وهي الناقة.

وقبل أنْ نخوض في الحديث عن الناقة لابدّ أنْ نعرج على الثّنائية المتحكمة في قصة ثمود في القرآن الكريم، ألا وهي ثنائية "الصّلاح/ الفساد" كتفريع لثنائية المشارطة السّننية الكبرى "الاستقامة/ الكسب"، يقول تعالى في سورة الشّعراء: {{الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(١٥٢)}}، ويذكّر بآلائه، وما منحه إياهم، ولديمومة آلاء الله اشترط عليهم أنْ يتخذوا الصلاح طريقاً، وأنْ لا يعيثوا فساداً، اغتراراً بما بوّأهم الله من

مكانة ونعم، يقول في سورة الأعراف: {{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٧٤)}}، كما يميّز في سورة النّمل جانب الفساد قبالة جانب الصلاح {{وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨)}}، فإنْ كان التّسعة رهط يمثلون جانب الفساد فإنَّ النبيّ "صالحاً" يمثّل الصلاح بل كبير المصلحين وقائدهم، وبين هذين الجماعتين تمّ الصّراع بين من يدعو إلى الإيمان واحترام الطبيعة "آلاء الله"، وبين من يعيث في الأرض فساداً.

وفي خضم الصّراع راز الله تعالى ثمود بابتلاءٍ أراد من خلاله الكشف عن مدى الفساد أو الصلاح فيهم، وهذا الرائز هي الناقة بوصفه تمثيلاً سردياً سننياً عن آلاء الله للإنسان، لكي تتخذ المشارطة الإلهية سننيتها ضمن مفهوم الخصب والصّلاح، وهو كما نشدّد خطاب غير مباشر للمسلمين، لاحترام الآلاء والنّعم التي منحها الله لهم. فالإيمان بالله ليس عقداً قلبياً ولسانياً فحسب إنّما مشروط بالعمل أيضاً، بالمساواة والتّسامح في قصتي نوح وهود، كذلك باحترام آلاء الله "الموارد الطبيعية" في قصة ثمود، وإلاّ ما جدوى من اختبار الثّموديين بالنّاقة التي ينسبها تعالى إلى نفسه؟ ما الاختبار إلّا ليكرّس سنّة الخصب والإيمان المشروط بالصّلاح وذكر الآلاء، والذّكر هنا ليس الحمد إنّما الاحترام، يقول تعالى في سورة الأعراف: {{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٣)}}، والسّؤال هنا : ما علاقة الناقة بالخصب؟

ترتبط الناقة في ذهنية العربي القديم بالخصب، يعوّض وجودها العظيم في حياة العربي فقده للماء والكلأ عنصرا الخصوبة (الحسين، ٢٠٠٩، ٢١٢)، فهي عند العربي رمز الأمومة الخصبة التي تصدر عنها الحياة في أفراحها وأحزانها ومخاوفها وقلقها وأحلامها (الحسين، ٢٠٠٩: ١٧٣)، بل ذهب لفيف من الباحثين إلى القول: إنَّ العرب كانوا يقدّسون النّاقة،

وما تقديسهم إلاَّ صورة لتقديس فكرة الخصب والعطاء، (الحسين، ٢٠٠٩: ٢٢٢)، ففكرة النّاقة ((ليست إلاَّ تخيلاً ومجازاً أقرب ما يكون مظهراً للبحث عن بعض أوجه الانتماء أو البحث عن الأمومة)) (ناصيف:٩٩)؛ إذ صنع الشّعر العربي الجاهلي "الخطاب المركزي آنذاك" صورة للنّاقة بوصفها الأمّ الكبرى التي تحتوي في داخلها كلَّ ما عداها، فمعظم الشعراء الجاهلية قد استهوى قلوبهم بناء صورة الأمّ، وهذه الصّورة جزء من الرّغبة في الانتماء، فقد شعر المجتمع القديم أنَّ فكرة الأم هي أوَّل واجبات الضّمير وأكثر الأفكار ضرورة. (ناصيف: ١٠٢)

كلّ الظنّ أنَّ تقديس النّاقة عند العرب يتعلّق بالاعتقاد الذي ساد عن عرب الجاهلية بـ "سقب السماء" أو "فصيل النّاقة السّماوية" الذي في إثر رغائه هلكت ثمود، ورسخ في ذهنية العرب الجاهلية أنَّ تقديس النّاقة هي تقديس للخصب والدّيمومة وانتهاك حرمتها يجرّ هلاكاً مدمراً، حتَّى أنَّ أمثالهم تكرّس هذا الفهم من قبيل "كراغية البكر" ويقصدون سقب ناقة صالح، حين رغى على الثّموديين بعد عقرهم أمّه فأنزل الله العذاب عليهم. (العسكري، ١٩٨٨، ج٢: ١٣١)، و"أشأم من أحمر عاد" وأحمر عاد هو قُدار عاقر الناقة، (العسكري، ١٩٨٨، ج١: ٤٥٦) بل أنَّ أفعى الفردوس في أسطورة الخليقة العربية كانت لها شكل ناقة، حتَّى اعتبر الثّموديون أنَّ الجمل حيوان مقدس لأنَّه حيوان الفردوس في البدايات لذلك يحرّمون ذبحه وصيده وقتله. (الغانمي، ٢٠١٦: ٩٢-٩٣)

وتمثل ناقة صالح الأمومة/ الخصوبة، يفسّر ذلك الإثراء السّردي للقصة: ((فأقامت النّاقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة، تشرب ماء بئرها يوماً، وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم)).(ابن كثير، ١٩٩٩: ٤٤٠)

الناقة إذن هي التّعويض الأمثولي عن الحياة ومصدر الحياة، هي مثال للطبيعة الأمّ مصدر الحياة، وكلُّ الإضافات التّخييلية لقصة النّاقة في السّردية العربية

كانت تصبّ باتجاه بلورتها كمثال للأم الطّبيعة المعطاء، وقتلها بالضّرورة يستلزم كفّاً عن الحياة، فعقر واهبة الدّيمومة هو عقر للدّيمومة، وبسنة إلهية نعرف أنَّ مصير القرى والأمم والمجتمعات التي تقتل مواردها الطّبيعية وأرضها ومصادر حياتها ستبوء بالخسران الذي يعبّر عنه القرآن الكريم بالصّيحة أو الرّجفة أو الصّاعقة هو الكفء الأمثولي لحالة الموات/ الجدب بوصفه نتيجة طبيعية سننية لعقر الأم المعطاء الممثلة بالناقة الرامزة للخصب "آلاء الله".

في سورة الشمس ثمة ربط غير اعتباطي لابدَّ الالتفات إليه بين ظواهر الطّبيعة البرّانية وطريقي النّفس الجوانية مع قصة ثمود والناقة، فالتزكية والتدسية المعاران إلى النّفس يتعلقان في الحقيقة بالأرض، فعلاقة الإنسان بنفسه مثل علاقة المزارع بأرضه، فالفَلَاح والخيبة يدخلان في المشارطة الإلهية السننية، ضمن علاقة تناظرية، فالفلاح والخيبة في الأرض يناظران الفلاح والخيبة في النفس، والتزكية "نمو النبات وإظهار آلاء الله" والتّدسية "إخفاء آلائه"، وكلاهما بيد المزارع/ الإنسان، فالتّزكية بوصفها استقامة والتّدسية بوصفها كسباً هما الشّرطان اللذان على أساسهما تكون العاقبة، بالخيبة بوصفها صورة أولية لمفهوم "الأخذ الإلهي" أو بالفلاح بوصفها صورة أولية لمفهوم "الغدق الإلهي"، وما الإلهام المسند إلى النفس إلاَّ إشارة إلى الحرية الممنوحة للإنسان في خياره "التقوى/ الاستقامة أو الفجور/ الكسب".

والسؤال المطروح: لماذا ربطها بقصة عقر الناقة؟ ربما من تمثلات التّدسية عقر النّاقة فهي إخفاء لآلاء الله في الأرض، فثمة صورتان هنا، صورة داخلية للنّفس البشرية وصورة خارجية تناظر الأولى هي صورة النّاقة، فتزكيتهما فلاح وصلاح وتدسيتهما خيبة وجدب، وما يشجعنا في المضي بهذا التّأويل التّرابط التّسلسلي الاستعاري للآيات "الأرض ـ النّفس ـ القصة بوصفها مثلاً للتّدسية": {{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا(٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا(١١) إِذِ

انْبَعَثَ أَشْقَاهَا(١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا(١٣)}}.

د: أمثولة الطهر: النّبي لوط:

تنبني قصة لوط ضمن ثنائية بنيوية "الطهر والرجس"، هذه الثّنائية تؤكّد كالثنائيات التي سبق ذكرها المشارطة السّننية/ المعادلة الإلهية، إذ تعدُّ تمثّلاً آخر لثنائية المشارطة السّننية الأساس "الاستقامة والكسب"، فقد جاء في سورة النمل {{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٥٦)}}.

تدور القصة حول خطّين متجاورين: أولهما، بشارة لإبراهيم أنَّ زوجته سارة ستلد، وهذا الأمر ليس بواقعة عادية؛ لأنَّها اللّحظة التي سيتغيّر فيها وجه التّاريخ بأسره، لأنَّها أمُّ بني إسرائيل قاطبة، والخط الثّاني: نِذارة لقوم لوط والتّشديد على رجس زوجته بمقابل طهر سارة، وقد ورد هذا التجاور في سور "هود والحجر والعنكبوت" فقد جاء في سورة العنكبوت {{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)}}.

تدور القصة إذن حول تخصيب العاقر الطاهرة، وإجداب قوم لوط بما فيهم زوجته، كأنّها إشارة إلهية إلى أنَّ المعجزة هذه تدلُّ على أنَّ سنّة الطّهر ستكون عاقبتها الخصب والخير، بينما الرّجاسة الجنسية التي تستلزم سقامة روحية ستكون عاقبتها الهلاك والجدب، بمعنى آخر يجاور الخطاب القرآني بين لحظة سويّة في العلاقات الإنسانية على الرغم من الكِبر وبين قرية سوء تقترف الفعل غير السوي في ممارستها للجنس المنحرف، ثمة معجزة تلاها هلاك، معجزة إيجاد بعد يأس، {{قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ}} "الحجر ٥٥"، كيما تبقى القلوب معلّقة بالله ضمن الرجاء والأمل بينا تلا تلك المعجزة هلاك قوم لوط لأنّهم

أسرفوا وساروا في شهواتهم إلى طرق غير مشروعة.

الإيمان بالله إنْ كان مشروطاً بالمساواة والتّسامح والّصلاح فيما يخص الأنبياء السّالف ذكر أقوامهم، فإنَّ الإيمان في قصة لوط مشروط بالطّهر، بالاستقامة الرّوحية والجنسية، بالرّجاء بعد يأس، كذلك من سنة الطبيعة والكون أنَّ التكاثر لا يكون إلاَّ بين الذكر والأنثى، أمّا الانجذاب إلى المثيل فهو ممّا يخرق السّنة الطبيعية، وأيّ خرق للسنة مصيره الخسران بالتأكيد إمّا بعقوبة طبيعية مباشرة "رجز من السماء"، وإمّا ضمن سنّة طبيعية غير مباشرة "الانقراض جرّاء الانجذاب الى المثيل".

إنَّ الله تعالى عبر هذه القصة أراد تثبيت السّنة، سنة الطهر لمجتمع المؤمنين لتقويم أو لتحسين سلوكهم الجنسي وغرائزهم الجنسيّة، فأيُّ أمّة لا تتخذ الطّريق السّليم لبناء العلاقات الاجتماعية فإنَّ أمر الله سيأتي بالمحو، وقصة لوط ليس بالضّرورة أنْ نفهم منها أنَّها قصة تدين اللّواط تحديداً، كلُّ الظنّ أنَّ قوم لوط أمثولة عن ثنائية الطّهر والرّجس، وما اللّواط إلاَّ الصورة الأكثر تطرفاً لفعل الرّجس، فالأمر يتعلّق بالاستواء الرّوحي الذي يفضي بالضّرورة إلى السّلوك الجنسي المستقيم، وفي هذا درس للمتلقي المسلم فيما يخصّ الاستواء الروحي فالنّمو والخير مرهونان بالطّهر، والهلاك مرهون بالرّجس.

هـ: أمثولة العدل: الميزان:

إنَّ كانت ثنائية المشارطة السّننية الأصل "الاستقامة والكسب" تمثّلت في قصة نوح بثنائية "الاستكبار والمساواة"، وفي قصة هود بثنائية "التّسامح والعتو"، وفي قصة صالح بثنائية "الصلاح والفساد"، وفي قصة لوط بثنائية "الطهر والرجس"، فإنَّ قصة شعيب تقوم على ثنائية "العدل والبخس"، فشريعة الله هي العدل كما يعبّر المفكر الباكستاني إقبال اللاهوري (قضايا إسلامية معاصرة، العدد الرابع: ٦٥)؛ لأنّ ((مراعاة مبدأ القسط والعدل تحفظ انسجام النظام وتؤمّن التناغم مع نظام الوجود ومخالفته في المقابل تعد إخلالاً بنظام الحياة ومخالفة لنظام الوجود)) (حسني وآخرون، ٢٠١٨: ١٣٤)، ولو

تتبعنا الخطاب القرآني لوجدناه يستتبع نمطاً سننياً:

١ ـ الإيمان مشروط بالعدل: يقول تعالى في سورة هود: {{وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٨٥)}}، ومن المتعسّر فهمه أنْ يكون كلُّ أفراد قريتي شعيب "الأيكة" و"مدين" يعملون بالتجارة أو قطع الطريق، لأنّ ذلك يستلزم ضحايا من القريتين يقع عليهم فعل التطفيف والسلب، فهل يمكن أن يتعاطف أولئك الضحايا مع المطففين وقطّاع الطرق؟ وانطلاقاً من هذا التساؤل لنا أنْ نستنطق قصة النّبي شعيب أمثولياً، ونرى أنَّ قصة "الميزان" ليس إلاَّ تمثيلاً لسنّة العدل، وما البخسُ والتّطفيف إلاَّ صورة مادية للظلم الاجتماعي/ للكسب.

٢ ـ الوعي التاريخي السنني للنّبي شعيب. بمعنى أنَّ فلسفة التّاريخ التي يتبناها النبيّ شعيب هي التّفسير السّنني الإلهي للتاريخ. فقد كان قوم شعيب بخير مثلهم مثل الأقوام السّالفة، لذلك يخاف عليهم النّبي من العذاب، لمعرفته بالسّنة، فشعيب بطل سنني إيماني، يقول الله تعالى في سورة "هود": {{وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ(٨٤)}}، {{وَيَاقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ(٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠)}}.

٣ ـ التّذكير بالسّنن هو منهاج الإصلاح: ليس بعث الأنبياء إلاَّ ليقوّموا الانحراف ويصلحوا ما أفسده الإنسان، وظلم قوم شعيب اقتضى أنْ يضع النّبي شعيب منهاجاً؛ كيما يعبر بقومه أو قريتيه إلى الحياة الفضلى، والتّذكير بالسّنن والدّعوة إلى الإيمان هو ما فعله شعيب ليصلح حال قومه: {{قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}} (هود ٨٨).

٤ ـ التّمترس خلف الآبائية: صيغة تكرّرت في الأقوام وفيها تعريض لأهل مكّة، فإن الآباء ليسوا مقدّسين عند هذه الأقوام بقدر ما يضمنون لهم بقاء امتيازاتهم وشرورهم وتكريس عادتهم ومنحها مشروعية، قال تعالى: {{قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}}(هود ٨٧).

ثانياً: الاستنطاق الأمثولي: الأمر الإلهي:

الكسب يُكافئ قرآنياً وضمن المشارطة السّننية بالأخذ "العذاب"، المسند إلى أمر الله، والأمر الإلهي في الأخذ في القرآن الكريم يمكن أنْ نفرّعه إلى أمرين، أولهما: مباشر، نلمسه في الأخذ المدمّر ضمن سنّة طبيعية يفعّلها الله تعالى بأمر مباشر كالزلزلة والصاعقة والبركان والطوفان، وثانيهما: أمر غير مباشر، الذي يتمّ وتكتمل أنساقه ضمن السّنن التّاريخية في الأنفس والمجتمعات، ويكون الأخذ بانهيار تلك الجماعات وضياع ذكرهم بسبب خطاياهم وآثامهم وكسبهم، وانحرافهم عن المشارطة السّننية، يقول تعالى في سورة الشّورى: {{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)}}.

وفي قراءة أمثولية لا تنسف الإمكان الأوّل لكنها تمنح بعداً آخر يرتكز على الإمكان الثاني، أمكننا أنْ نقرأ القصص الغابرة بوصفها أماثيل مجازية عن مفهوم السّنة/ العاقبة القائمة على مفهومي الكسب والاستقامة، كما فعلنا في الصّفحات السّابقة، وتستلزم الاستقامة عاقبة حسنى، ويقتضي الكسب عاقبة سوء، قد يكون طوفاناً أو صاعقة. بعبارة أخرى: يمكن أنْ نقرأ الأمر الإلهي المباشر الذي تؤكّد القصص القرآني وقوعه مباشرة، قراءة أمثولية توازي القراءة السائدة، لا تنفيها إنّما تمنح لنفسها الحق في القول: إنَّ الأمر الإلهي المباشر في القصة هو تمثيل سردي لأمر الله غير المباشر الذي يتمُّ عن طريق الشّرط السنني للتاريخ، أو حركة التّاريخ القائمة على السّنن الإلهية في الأنفس والمجتمعات، فتهلك الأمم بانحرافاتها التي تصلها إلى المآلات غير المحمودة، إذ تندرج قصص نوازل الدّمار الشّامل في الأقوام السّالفة ضمن مفهوم

النذارة، فالنّبي محمد "ص" كرّس مفهوم المشارطة السّننية في نذارته لأهل مكّة وتهديده لهم بالويل الدّنيوي فضلاً عن الأخروي، ولو دقّقنا النظر لوجدنا أنَّ القرآن الكريم قد ذكر أمّ القرى، ويقصد مكّة مقرونة بالنذارة لا بالبشارة، وجعل غاية الوحي والنزول هي نذارتهم، ففي الآية الثانية والتسعين من سورة الأنعام يقول تعالى: {{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى}}، وجاء في الآية السّابعة من سورة الشّورى قوله تعالى: {{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى}}، وفي سورة مريم أشار لهم دون أنْ يسميّهم: {{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا(٩٧)}} ويفسّر الزمخشري اللّد بقوله: ((الشّداد الخصومة بالباطل، الآخذون في كلِّ لديد؛ أي في كلِّ شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم، يريد أهل مكة)) (الزمخشري، ٢٠٠٩: ٦٤٩). والنّذارة هنا في شقّها الدّنيوي تتخذ من المشارطة السّننية خطاباً لبلورة مفهوم الإيمان في متلقيه القرشيين، الإيمان المشروط بالشّروط السّننية الأنفة الذّكر.

الإبادات الجماعية تعني ((انتهاء حقبة وبداية حقبة جديدة، تعني أنَّ الحقبة التي بلغت دور الهرم يجب أنْ تفسح المجال للحقبة الجديدة لتروي قصة زوالها ليست النّازلة الشّاملة حكاية "دمار" واختفاء وحسب، بل هي في الوقت نفسه حكاية تجدد وانتعاش لمواصلة نوع من الاستمرارية في ثياب "وجود" آخر لتجديد العالم)) (الغانمي، ٢٠١٦: ٣٦٩)، وإنْ كانت الآيات الكريمة تسند العقاب إلى أمر إلهي مباشر، غير أنَّ هذا الأمر اقتضته القصّة بوصفه تمثيلاً للعذاب السّنني لأمر الله غير المباشر "الكسب/ الأخذ" أي الهلاك ضمن سنّة التاريخ. فالقرآن الكريم يريد تعزيز السنّة سواء أكانت النهاية واقعية "أمر الله مباشرة ضمن سنّة الطبيعة" أم أمثولية "أمر الله غير المباشر ضمن سنّة التاريخ". ولنا أنْ نضفي فهماً لتلك النّهايات الإبادية بوصفها نهايات أمثولية لا حقائق تاريخية، الغرض منها إحداث الصّدمة عند المتلقي وتجذير فكرة السّنّة التي إنْ عدلت عنها وانحرفت عن جادتها

التي هي جادة الحق فأنك مهدّد بالعذاب، وعلى الرّغم أنَّ قصص نوح ولوط مذكورة في التّوراة، وأنَّ قصص هود وصالح وشعيب راسخة في الذّهنية الجاهلية، إلاَّ أنَّ القرآن الكريم ذكر هذه القصص ليس على نحو سرد التّاريخ، إنَّما على نحو إثبات السّنة والمشارطة الإلهية، فنوح ولوط القرآنيان ليسا نوحاً ولوطاً التوراتيين، وهود وصالح وشعيب في السّرديّة العربيّة الجاهليّة ليس هم أنفسهم في القرآن الكريم، ففي التّوراة والسّردية العربية تنطوي قصصهم على أساطير وإسهابات تفصيلية، بينما في القرآن الكريم سيقت كبراهين إجمالية لإثبات سنن الله في الخلق والمجتمعات.

ثمة تأويلان يقترحهما الباحث لصور الإبادة الجماعية (الطوفان، الريح الصرصر، حجارة من طين، الصاعقة، الصيحة، الرجفة، الظلّة) في محاولة الوصول إلى معنى أمثولي لها تنسجم والمشارطة السّننية/ المعادلة الإلهية التي تحدثنا عنها بوصفها الرّكيزة الأساسية للقصص القرآني، والتّأويلان هما:

١ - إنَّ الإبادات الجماعية في القصص أعلاه تتخذ نسقاً عمودياً، من الأعلى "تمثيل لله تعالى واضع المشارطة السّننية" إلى الأسفل "تمثيل للإنسان المنحرف عن سنّة الله في الطبيعة والمجتمعات"، وهذا النّسق يتمثل في فعل المطر. وللمطر معنيان متضادان: أولهما الخير "المدرار والغدق"، ومعنى آخر للعذاب، "الطوفان" و"الرجز من السماء" كما في قصة لوط: "فساء مطر المنذرين"، وفي قصة هود أنَّ العذاب جاءهم وكانوا يظنّونه "عارضاً ممطرنا"، وفي قصة شعيب نجد "الظلّة"، أمَّا ثمود فالصواعق تستلزم المطر أيضاً، لذلك فالسماء باب رجاء وعذاب، باب بركة وهلاك، والأمر يتوقف ضمن المشارطة السّننية، فإمَّا المدرار والغدق في حالة الاستقامة وإمّا الطّوفان والرّجز والرّيح والصّواعق في حالة الكسب. وقد مرّ قوله تعالى في سورة الأعراف: {{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٩٦)}}.

٢ ـ إنَّ الله تعالى وزّع العذاب ضمن عناصر الطّبيعة "سنّة الطبيعة" فصورة الهلاك في قصة نوح "مائية/ الطّوفان" وصورة الهلاك في هود "هوائية/ الرّيح الصّرصر العقيم"، وصورة الهلاك في ثمود كانت "نارية/ الصّاعقة" وما تستلزم من صيحة ودمدمة، وصورة الهلاك في قوم لوط "ترابية/ مطر الحجارة" بوصفها أشدّ تمثلات التّراب صلابة، يقول تعالى في سورة الذاريات عن قوم لوط وعاد وثمود: {{لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(٣٣)}}، {{وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ(٤١)}}، {{وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ(٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ أَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ(٤٤)}}، بمعنى آخر أنَّ للآفاق "الطبيعة" سننها التي تكون خيراً وشراً حسب التسخير والتوفيق الإلهي.

للماء صورتان متضادتان: مدرار وطوفان، وللهواء صورتان متضادتان: رياح وريح، وللنار صورتان متضادتان: ضوء وصعق، وللتراب صورتان متضادتان: الغرين والحجر، وصورة الخير معتدلة وصورة الشّر طاغية، الطوفان طغيان المدرار، والريح طغيان الرياح، والصاعقة طغيان الضوء، والحجر طغيان الغرين. والطبيعة "سنّة الله في الآفاق" ستمنح عطاءها وخيرها لمن يستقيم ولمن ينحرف عن الجادّة ستمنحه هلاكاً ودماراً، بمعنى أنَّ الطّبيعة تدخل ضمن المشارطة السّننية كأداة للثواب والعقاب، لكن التّنويع في صور العذاب ليس بأمر اعتباطي، إنَّما له قصدية معيّنة، وللباحث أنْ يجتهد في وضع تأويل مناسب ولا يدّعي أنَّ تأويله هو القول النّهائي.

إنَّ الأخذ/ العذاب يتكافأ مع الكسب/ الفعل، إنَّ الماء أصل الحياة "وخلقنا من الماء كل شيء حي"، والأصل المائي يضع الجميع في مستوى واحد، لا فرق بين ملأ وأراذل، وحين خرج الملأ عن سنّة المساواة المائية كان عذابهم بالماء نفسه، وصار تطهير أبناء الماء بالماء نفسه، بما يمكن تسميته بالتعميد البشري، كذلك أنَّ الكلّ تحت المدرار يتساوى، وحين خرج قوم نوح عن سنّة المدرار/ المساواة طغى المدرار طوفاناً فأتى على كلّ من طغى واستكبر، لاسيما من كان يرى نفسه أعلى وينظر للآخر نظرة دونية. علا

الماء "رمز الخير والحياة" فصار رمز الموت فأغرق حتَّى الجبال، لا منجى لأحد حتَّى لابن نوح نفسه، إذ ظنَّ أنَّ الجبل أعلى من الطّوفان دلالة استكباره، لكن سُنّة الله أعلى وأمضى، وطوفانه يعلو كلَّ شيء إلاَّ سفينة نوح تعلو عليه، سنة الله أنْ ينجي الذين آمنوا "الأراذل" ويُغرق المستكبرين، إنَّها سنّة الماء في منح العالم درس المساواة وأنْ لا منجى إلاَّ للذين آمنوا، في الطّوفان معنى الإفناء والموت من جهة، والبعث والتّجدد من جهة أخرى، تجدّد مشروط بالمساواة تحت مدرار الله.

فيما يخص الصّورة الترابية "عذاب قوم لوط"، فيمكن القول: إنَّ الإنسان خلق من تراب، وديمومته في التّكاثر الطّبيعي بين الرّجل والمرأة، والخروج عن سنّة التّكاثر الطّبيعي بالضرورة ستنهي الديمومة وستكون الإبادة طبيعية، لا شهوة بين الرجل والمرأة، ومن ثمّ لا تكاثر، واللا تكاثر إنهاء طبيعي لقوم لوط، والرّجاسة الجنسية بوصفها تمرداً على سنّة التكاثر التّرابي، ستكافأ بعذاب من سنخ التّراب نفسه، ففي التّراب حياة "إنبات وتكاثر" في صيغته الطريّة، وفيه موت "الرجم" في صيغته الصلدة "الحجارة"، فرأينا أنَّ عذاب قوم لوط بحجارة من طين، وما يشجّعنا على هذا التّأويل هي مجاورة قصة لوط بقصة بشارة إبراهيم بولد من سارة على الرّغم من الكبر، فالله عز وجلّ وضع صورتي التّراب جنباً إلى جنب "الإنبات والرجم" التّكاثر والتّمرد. كأنّ الطبيعة انتقمت لنفسها من قوم لوط، لأن شهوانيتهم ستفني النّوع الإنساني في قريتهم، وبعبارة أخرى أنَّ الاستقامة الإنسانية التّرابية مسنّنة أن تتكاثر طبيعياً، ومن يخرج عنها يُعاقب بأصل السّنة، وأصل التّكاثر التّراب فعذاب هؤلاء من الأصل، هذا ما يعني أنَّ السّنة هي التي عذّبت، بكسبهم خرجوا عن طبيعة التراب فعُذّبوا بالتراب، بصورته الأشدّ تدميراً. وعدم التكاثر الطبيعي "أنْ تكون قرية بكاملها شاذة" هي نهاية لنسل التّراب لذلك فالحجارة "قوة الطبيعة البشرية التّرابية" ستنتصر على هذه الظاهرة، وبالرجز تنتصر على الرجس.

أمّا قوم هود فكانوا يتباهون بقوّاهم الجسمانية فجاء العذاب منسجماً، فللهواء صور اللّين واللّطف، وصورة الحياة أيضاً،

وعلى الرّغم من هذا حين عتا "ريح صرصر عاتية" جعل العتاة الجبارين كأعجاز نخل خاوية، فما نفعتهم قوتهم وعنفهم أن يردّوا ريحاً. فهم من حوّل صورة اللّطف الى صورة العنف، ثمة مقابلة بين الفعل "الكسب" والجزاء "العاقبة" فالعتو الإنساني الهازئ بدعوة التّسامح واللّين ستقابله عاقبة مكافئة "الريح العاتية" عتو بعتو، وبناء جسدي متين تقابله "ريح صرصر"، وتقابل "القوة" والامتلاء والتّباهي أنْ تكون النهاية "خواء"، ومصانعهم التي يتفاخرون بها ضاع أثرها حيث "لا ترى لها من باقية"، يقول الله تعالى ففي سورة الحاقة: {{وأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ(٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(٧) فهل ترى لهم من باقية (٨)}}.

والريح الصرصر هي الريح الباردة التي من شدة بردها ترجف العظام، بمعنى أنَّ بنيانهم الجسماني القوي لم يستطع أنْ يرد على البرد فظلت عظامهم ترتجف من شدّة الصرّ، وتكرار الصرّ ليس اعتباطياً، فالتّكرار ليس بالبرد إنَّما بأثره في الجسوم التي ترتجف من شدّته... فثمة مقابلات في قصة عذاب قوم هود، الاستكبار والإرجاف، العتو والريح العاتية، بناء المصانع والإفناء، الامتلاء تباهياً بالقوة والخواء. بصرف النظر عن أنَّ العاقبة حدثت فعلاً، إذ يمكن استنطاقها أمثولياً، بالقول: إنَّ أيّ قوم لا يركنون إلى السّلام واللّين الاجتماعي، وعوض ذلك يتباهون بقوتهم والبطش والعنف فإنَّ النّهاية ستكون أكيدة ضمن سنّة إلهيّة تاريخية، ففي فلسفة التّاريخ بالنسبة للقرآن الكريم، أنّ الإيمان غير المشروط بالتّسامح واللين الاجتماعي يبقى منقوصاً، والعاقبة ستكون الخواء والنهاية المأساوية.

وفي قصة ثمود نجد أنَّ ثمة اعتقاداً ساد عند المسلمين أنَّ الناقة ذات أصل ناري شيطاني، نجد نظير ذلك في ما يرويه البيهقي في سننه الكبرى عن الإمام الشافعي في تعقيبه على حديث الرسول الأكرم محمد "ص"، ((صَلُّوا فِى مَرَابِضِ الْغَنَمِ وَلاَ تُصَلُّوا فِى أَعْطَانِ الإِبِلِ فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ)) أنّ الرسول الأكرم كان يكره أن يصلّي قرب الإبل لأنّها من

جُنَّ خلقت لا لنجاسة موضعها (البيهقي، ٢٠٠٣، ج٢: ٦٣٠) ، أيّ مخلوقة من نار لا من طين، فهي التّمثل النّاري الأشدّ خيراً حتَّى أنَّ الله نسبها إلى نفسه فسمّاها "ناقة الله" وإنْ عقرهم صورة النار الأشدّ خصباً كان سبباً في أنَّهم أبيدوا بالصّواعق "صورة النّار الأشدّ فتكاً وتدميراً" التي صاحبتها الصّيحة والرّجفة. وفي تأويل أمثولي للإبادة، يمكننا القول: إنّ عقر الناقة هي ترميز لعقر ديمومة الخصب، ومن ثمّ فأيّ أمّة تحافظ على مصادر خصبها ونمائها ستمسك بديمومة الخير في ربوعها، وما إن تفرّط بتلك المصادر سيكون الخراب أكيداً ومصيراً وحيداً لها ضمن سببيّة طبيعيّة.

من جهة أخرى اختار الله تعالى النّار لتكون عذاب الظالمين في الحياة الآخرة صورة من صور العدل الإلهي، لذلك كانت عذاباً منسجماً وصورة الظلم والتطفيف والخروج عن سنّة العدل فيما يخص قوم شعيب. فأيُّ أمة لا تؤمن بالعدل، ولا تسير في طريقه فإنَّ الهلاك أمر طبيعي ضمن حركة التاريخ، فالأمم المطفّفة ستكون عاقبتها وخيمة. فالمجتمع الذي لا يسوده العدل ستنمو فيه عثة الجور، التي ستمزقه وفي النهاية سيفني نفسه بنفسه لكن فعل الإفناء وإنْ كان ذاتياً إلّا أنَّ الفاعل الحقيقي له هو السنّة الإلهية "الأمر الإلهي".

الخاتمة

إنَّ قراءة القصة أمثولياً ليس قراءة اعتباطية، بل جاء على أساس قرآني عن مفهوم المثل وعلاقته بالقصة، كما أنَّ الاستنطاق الأمثولي لا يعني إلغاء البعد التفسيري إنَّما يضيف بعداً تأويليّاً/ أمثولياً آخر، وأنَّ القصص القرآني يقوم على أساس المشارطة السّننية لبلورة مفهوم الإيمان المشروط بالمساواة والتسامح والصلاح والطهر والعدل. وما ثنائيات "المساواة والاستكبار" في قصة نوح، و"التسامح والعتو" في قصة النبي هود، و"الصلاح والفساد" في قصة النبي صالح، و"الطهر والرجس" في قصة النبي لوط، و"العدل والجور" في قصة النبي شعيب إلاَّ تمثلات أو تفرّعات لثنائية المشارطة الإلهية الأصل وهي "الاستقامة ومآلها الغدق، والكسب ومآله الأخذ". فليس الإيمان

ادعاءات قولية ولا طقوس عبادية، إنَّما هو عمل وسلوك وأخلاق.

والأمر الإلهي بالأخذ "العذاب" المذكور في القرآن الكريم المباشر قد يكون تمثيلاً سردياً لأمره غير المباشر، فالأخذ بالطوفان والريح الصرصر والصاعقة والصيحة والرجفة والحجارة من الطين ما هي إلاَّ تمثيلات سردية مجازية لأخذ الله "أمره" غير المباشر، الذي أهلك تلك الأمم ضمن حركة التاريخ وسننه في الأنفس والمجتمعات، الأمر الإلهي اتخذ طريقاً من الأعلى إلى الأسفل كذلك كان الأخذ مكافئاً للكسب ضمن صور طبيعية اشتملت على العناصر الطبيعة الأربعة "الماء والهواء والنار والتراب"، في مشارطة سننيّة كرّسها الخطاب القرآني، مفادها أن الأمم أو الأقوام ضمن حركة التاريخ وسننه إذا لم تركز بنيانها الاجتماعي والسياسي على العدل والمساواة والتسامح والصلاح والطهر فإن زوالها أكيد، قد يُمهلون لكنّه إمهال من يُرفع لتكون وقعته وخيمة.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، ، ١٩٩٩، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ، ط١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.
٢) البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، ٢٠٠٣، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣) تودوروف، تزفيتان، ١٩٩٤، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة: الصديق بو علام ، ط١، دار شرقيات، القاهرة.
٤) الجمل، بسّام، ٢٠١١، من الرمز الى الرمز الديني، ط١، دار رؤية، القاهرة.
٥) حسني، أبو الحسن وآخرون، ٢٠١٨، التفسير السياسي، دراسة في المبادئ المعرفية، ترجمة: وائل عليّ، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت.

٦) الحسين، قصي، ٢٠٠٩، أنثروبولوجيا الأدب، ط١، دار ومكتبة الهلال.

٧) الزمخشري، جار الله، ٢٠٠٩، تفسير الكشّاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل، ط٣، دار المعرفة، بيروت.

٨) سعيد، جودت، ١٩٩٣، أقرأ وربك الأكرم، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت.

٩) الصدر، محمد باقر، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ط٢، مجمع الثقلين العلمي، بيروت.

١٠) الطباطبائي، محمد حسين، ٢٠٠٦، الميزان، تحقيق: أياد باقر سلمان، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ١٩٨٨، جمهرة الأمثال، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢) علوش، سعيد، ١٩٨٥، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٣) الغانمي، سعيد، ٢٠١٦، ينابيع اللغة الأولى، ط١، منشورات الجمل، بيروت.

١٤) ناصيف، مصطفى، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت.

المجلات:

١) سعيد، جودت، ١٩٩٨، التفسير السنني، قضايا إسلامية معاصرة، العدد الرابع.

٢) مسكين، سعاد، (٢٠١٢، ١سمبتمبر)، الأمثولة في ألف ليلة وليلة، نوع سردي مختلط، مجلة الراوي، العدد ٢٥.